

ثالث عشر : ضوابط مشروعية الغناء والموسيقى

أولا : سلامة مضمون الغناء وكلماته من المخالفات الشرعية

إذ ليس كل غناءٍ مباحا إلا أن يكون موضوعه متفقا مع رسالة الإسلام وتعاليمه ، وغير مخالف لعقيدته ولا لشريعته ولا لأخلاقياته.. لا بد أن يكون الكلام خاليا من الكفر، والحلف بغير الله، ورد القدر، والفحش والقذف، والطعن في الأنساب، ولعن الناس وسبهم، والدعوة إلى الزنا والخمر، وذكر مفاتن النساء تغزلا بهن والتذاذا بأوصافهن؛ مما يثير كوامن الشهوات، ويستدعى حَفِيَّ الرغبات (كالشعر الذى يصف من المرأة ما لا يحل أن يُرى منها؛ مما يحرك الشهوة المنوعة. وكالتغنى بشعر الإغراء بالحرام؛ كالشعر المغرى بالنظر المحرم – أى النظر الشهوانى الجنسى – والمتعة المحرمة).

وذلك كقول أبى نواس فى الخمر:

دع عنك لومى إن اللوم إغراء وداونى بالتى كانت هى الداء
وكذلك قول شوقى فيها:

رمضان ولى هاتها يا ساقى مشتاقه تسعى إلى مشتاق

وكأغنية محمد عبد الوهاب: «الدنيا سيجارة وكاس».

فكل ذلك مخالف لتعاليم الإسلام التى تجعل الخمر أم الخبائث، والذى تعتبرها رجسا من عمل الشيطان، والذى تلعن شاربها وعاصرها وبائعها وحاملها وكل من أعان على ذلك بأى عمل كان.. فضلا عن أن السيجارة محرمة لا شك فى تحريمها؛ إذ ليس وراءها إلا خراب

البيوت والجيوب والأجسام؛ لكونها كتلةً متحركةً من الأضرار المصيبة للجسم والنفس والمال.

وكغناء من يغنى بتمجيد صاحب العيون الجريئة؛ لما فى ذلك من مخالفته لأدب الإسلام الذى ينادى كتابه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [النور ٣٠]: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ﴾ [النور ٣١].

ثانيا : سلامة طريقة الأداء الصوتى من التكرس والإغراء والإثارة

إن طريقة أداء الأغنية لها أهميتها الكبيرة؛ فقد تكون الكلمات لا بأس بها ولا غبار عليها، ولكن طريقة أداء المعنى أو المغنية - بالتكسر فى القول، وتعتمد الإثارة، والقصد إلى إيقاظ الغرائز الهاجعة، وإغراء القلوب المريضة - ينقل الأغنية من دائرة الإباحة إلى دائرة الحرمة القطعية؛ فإن الله يخاطب نساء النبي ﷺ فيقول: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب ٣٢]؛ فكيف إذا كان مع الخضوع فى القول: الوزن والنغم والتطريب والغناء والتأثير؟!

ثالثا : عدم اقتران الغناء والموسيقى بأمر محرم

يجب ألا يقترن الغناء والموسيقى بشيء محرم كشراب الخمر، أو تناول المخدرات، أو التبرج، أو الاختلاط الماخن بلا قيود ولا حدود ولا ضوابط، أو كشف العورات وإبراز المفاتن.

فيحرم السماع إذا كان فى مجلس اختلط فيه الغناء والعزف بملاسة

الخلاعة والفحش والفجور، وشرب الخمر، وقول الزور، وتلاعب القيان بألباب الحضور.

كما يحرم السماع إذا ارتبط بالمثالثات المميلات، والكاسيات العاريات، المثيرات المضلات.

كما يحرم السماع إذا تحول من شيء يُسَمَع إلى شيء يُرى.. من شيء تسعد بسماعه الآذان إلى شيء تنفطر له حزنا قلوب عباد الرحمن.. فلا يُسَمَع منه إلا صراخ الغرائز وفحيح الرغبات الحرام! ولا عجب في تحريم ذلك؛ لأن الإسلام يكره الفنون الرقيعة، ويطارد الماجنين الذين يشيعون بين الناس الخنوثة والتحلل، ويمقت الذين يعيشون في أرض الغرائز، ويحسنون الطبل والزمر حدوا للعواطف الرخيصة والشهوات الدنيئة!

رابعا : تجنب الإسراف فى سماع الغناء والموسيقى

الغناء والموسيقى، ككل المباحات، يجب تقييدهما بعدم الإسراف فى سماعهما، فإن الإكثار من ذلك مذموم، أكد فى ذمه من الإسراف فى الطعام والشراب؛ إذ الإسراف فى الأخيرين قد يسهل فيه على الإنسان أن يدرك الضرر بالزيادة، بخلاف اللهو والسماع؛ لأنه إن خلا من تحريك النفس إلى معصية، فسيحرمها من طاعة - على أدنى الدرجات-.

إن الإسلام حرم الغلو والإسراف فى كل شيء، حتى فى العبادة، فما بالك بالإسراف فى اللهو، وشغل الوقت به - إن كنت من غير العاملين به والمتهين له كحرفة؛ إذ سيأتى بيان حكمهم لاحقا - ولو كان مباحا؟! إن الإسراف فى اللهو والسماع دليل على فراغ العقل والقلب من

الواجبات الكبيرة والأهداف العظيمة ، ودليل على إهدار حقوق كثيرة كان يجب أن تأخذ حظها من وقت الإنسان المحدود وعمره القصير .. والله در القائل : «ما رأيتُ إسرافاً قط إلا وبجانبه حقٌ مُصَيِّعٌ».

إن الإسراف في السماع غير مرغوب ولا مطلوب ؛ لأن الأصل في الحياة الجد ، وأما اللهو والسماع فالأصل فيه أن يكون قليلا ، لا غالبا يطغى على الجد أو يضاهيه ، بل ما يؤخذ به منه فإنما هو لترويح القلب ودفع السآمة والملل ؛ إذ راحة القلب معالجةٌ له في بعض الأوقات لتنبعث دواعيه فيعود إلى الجد أقوى وأمكن مما كان عليه من قبل.

وأنبه - قبل ختام هذه النقطة- على ضرورة عدم الإسراف في جانب الغناء العاطفي - كما هو الحال في الواقع الغنائى المعاصر- الذى يتحدث عن الحب والشوق ؛ فالإنسان ليس عاطفةً فحسب ، والعاطفة ليست حبا فقط ، والحب لا يختص بالمرأة وحدها ، والمرأة ليست جسدا وشهوةً لا غير. لهذا يجب أن نعالج هذا «الإسهال العاطفى» ؛ هذا «السييل المنهمر» من الأغاني العاطفية الغرامية ، وأن يكون لدينا فى أغانينا توزيعٌ عادلٌ وموازنةٌ مقسطةٌ بين الدين والدنيا ، وبين حق الفرد وحق المجتمع ، وبين العقل والعاطفة ، وبين الحب والكراهة ، والغيرة والحماسة ، والأبوة والأمومة ، والبنوة والأخوة ، والصدقة والعداوة .. إلخ.

أما الغلو والإسراف والمبالغة فى إبراز عاطفة خاصة على حساب العواطف الأخرى ، وعلى حساب عقل الفرد وروحه وإرادته ، وعلى حساب المجتمع وخصائصه ومقوماته ، وعلى حساب الدين ومثله وتوجيهاته ، فهو أمر منكر مقبوت .

خامسا: أمور خاصة تتعلق بالمستمع ذاته، هو فيها مفتى نفسه

وبعد هذا الإيضاح والتفصيل السابق تبقى هناك أشياء خاصة أو دائرة معينة، تتعلق بالسامع نفسه، لا تحيط بها فتاوى المفتين، ولا يُستطاع ضبطها بدقة، بل تُوكَل إلى ضمير المسلم وتقواه، ويكون كل مستمع فيها فقيه نفسه ومفتيها، فهو أعرف بها من غيره؛ فإذا كان نوعٌ معيّن من الغناء أو الموسيقى يستثير غريزته، ويغريه بالفتنة، ويسبج به في شطحات الخيال، ويطغى فيه الجانب الحيوانى على الجانب الروحى، فعليه أن يتجنبه حينئذ، ويسد الباب الذى تهب منه رياح الفتنة على قلبه ودينه وخلقّه، فيستريح ويريح.

كما إذا وجد من نفسه أنه يُؤثر سماع الغناء والموسيقى على سماع القرآن وقراءته، ويرق قلبه عندهما ما لا يرق عند القرآن، حتى إذا تلى عليه ولى مستكبرا كأن لم يسمعه، كأن فى أذنيه وقرا، فعليه حينئذ أن يتوقف عن سماع الغناء والمعازف؛ لأنها - والحال كذلك - عليه حرام؛ وما حاله هذا إلا تمكّن هوى باطنٍ وغلبة شيطان^(١).. وعليه أن يُكثِر من سماع القرآن الكريم : مآدبة المؤمنين، وقرة عيون المتقين، فهو خير السماع وأجله وأنفعه، والسعيد من وفق إلى أكبر نصيب منه، يسمعه من غيره، ويُسْمِعُه غيره، يتعلمه ويعلمه، يتدبره ويتدارسه.

(١) والهوى والشيطان (نعوذ بالله منهما) قد يتمكنان من الإنسان فى أى موقف من مواقف حياته، فليسا ب (الوكيل المتعمد للغناء والمعازف - كما يحلو للمحرمين أن يصوروا للناس - !